أهمية العقيدة في تحقيق الوحدة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه المتحابين في الله والمتآخين فيه، وعلى من سار على نهجهم، وسلك طريقهم في التمسك بالعقيدة الصحيحة إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لحكمة عظيمة وغاية سامية. ألا وهي عبادته سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، والإخلاص في ذلك قولاً وعملاً واعتقاداً. قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بهذه العبادة، وبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل الكتب لبيان هذا الحق وتفصيله والدعوة إليه، كما قال عز وجل: ﴿ **وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا** ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ** ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ومعنى «قضى» في هذه الآية

أمر ووصى. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴾ [هود: ١ – ٢]، وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار، فقال لي: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...» الحديث[1].

ومعنى عبادة الله هنا: أي يفردوه بالعبادة ولا يجعلوا له شريكاً في نوع منها وإن قل، وذلك يتضمن جميع أنواع التكاليف الشرعية، كما قاله بعض المحققين. ومعنى: (ولا يشركوا به شيئاً) يشمل قسمي الشرك الجلي والخفي[2].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٢) من إبطال التنديد، ببعض التصرف.

والآيات الكريمات التي مرت فيها الأمر بعبادته سبحانه وتعالى وحده، والتصريح بأنه خلق الثقلين لهذه العبادة، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب لبيانها والدعوة إليها.

وحقيقة هذه العبادة هي طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالإخلاص لله في جميع الأعمال، والامتثال لأوامره، والحذر من نواهيه، والتعاون في ذلك كله، وتوجيه القلوب له سبحانه وتعالى في جميع ما يهمها، وسؤاله عز وجل جميع الحاجات عن ذل وخضوع وإيمان وإخلاص وصدق، وتوكل عليه سبحانه، ورغبة ورهبة مع القيام بالأسباب التي شرعها لعباده، وأمرهم بها، وأباح لهم مباشرتها. وبهذا يستقيم أمر الدين والدنيا، وتنتظم مصالح العباد في أمر المعاش والمعاد.

ولا صلاح للعباد، ولا راحة لقلوبهم، ولا طمأنينة لضمائرهم إلا بالإقبال على الله عز وجل، والعبادة له وحده، والتعظيم لحرماته، والخضوع لأوامره، والكف عن نواهيه، والتواصي بينهم بذلك والتعاون عليه، والوقوف عند حدود الله التي حد لعباده، كما قال عز وجل: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٣ - ١٤].

وهذا العمل هو ما يسمى العقيدة التي هي أصل دين الإسلام وأساس الملة. ومما هو معلوم – لا شك فيه – أن جميع الأقوال والأعمال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة.

وقد دل كتاب الله المبين وسنة رسوله الأمين ﷺ على أن العقيدة الصحيحة تتلخص في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها القرآن الكريم، وبعث الله بها رسوله محمداً ﷺ، ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، وجميع ما أخبر به الله عز وجل ورسوله ﷺ.

وأدلة هذه الأصول الستة كثيرة جداً في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، يقول الله عز وجل: ﴿ **لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ويقول تعالى: ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وغيرها من الآيات الكريمات.

ومن الأحاديث الصحيحة الكثيرة الدالة على هذه الأصول حديث جبريل المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب

رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال له: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» ...الحديث[(١)].

ويتفرع عن هذه الأصول الستة جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه وتعالى، وفي أمر المعاد، وغير ذلك من أمور الغيب. فمن الإيمان بالله سبحانه وتعالى الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه لكونه خالق العباد، والمحسن إليهم، والقائم بأرزاقهم، والعالم بسرهم وعلانيتهم، والقادر على إثابة مطيعهم، وعقاب عاصيهم.

والإيمان بجميع ما أوجبه على عباده، وفرضه عليهم من أركان الإسلام الخمسة الظاهرة التي هي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً. وغير ذلك من الشرائع التي جاء بها الشرع المطهر.

ومعاني هذه الأركان الخمسة – والحمد لله – ليست بخافية على أي مسلم.

ومن الإيمان بالله تعالى الإيمان بأنه خالق العالم، ومدبر شؤونهم، والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته كما يشاء سبحانه، وأنه مالك الدنيا والآخرة،

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة.

ورب العالمين جميعاً، لا خالق غيره، ولا رب سواه.

ومن ذلك الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ بل يجب أن تمرَّ كما جاءت مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله عز وجل، يجب وصفه بها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته؛ كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان.

وأما الإيمان بالملائكة فيتضمن الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً، فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته، ووصفهم بأنهم: ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٨]. وهم أصناف كثيرة: منهم الموكلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد. ونؤمن على سبيل التفصيل بمن سمى الله ورسوله منهم كجبريل وميكائيل، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، ومالك خازن النار.

وهكذا الإيمان بالكتب المنزلة؛ يجب الإيمان إجمالاً بأن الله أنزل كتباً

مع أنبيائه ورسله لبيان حقه والدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ** ﴾ [الحديد: ٢٥]. إلى غيرها من الآيات في ذلك.

كما نؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن. والقرآن هو أفضلها وخاتمها، وهو المهيمن عليها والمصدق لها، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحت به السنة عن رسول الله ﷺ؛ لأن الله أنزله على رسوله ﷺ ليحكم به بينهم، وجعله شفاء لما في الصدور، وتبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة للمؤمنين. كما بين ذلك سبحانه وتعالى في كثير من الآيات.

وهكذا الرسل يجب الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً؛ فنؤمن بأن الله أرسل إلى عباده رسلاً منهم مبشرين ومنذرين، ودعاة إلى الحق. فمن أجابهم فاز بالسعادة ونجا من العذاب، ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة والخسران. وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد بن عبد الله عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم. كما قال تعالى: ﴿ **رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ** ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ومن سمى الله منهم أو ثبت عن رسول الله ﷺ تسميته آمنا به على سبيل التفصيل والتعيين

كنوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وغيرهم عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وأما الإيمان باليوم الآخر فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما يكون يوم القيامة من الأحوال والشدائد، والصراط، والميزان والحساب والجزاء، ونشر الصحف بين الناس، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره.

ويدخل في ذلك أيضاً الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد ﷺ، والإيمان بالجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه، وتكليمه إياهم، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن الرسول ﷺ.

وأما الإيمان بالقدر فيتضمن الإيمان بأربعة أمور:

أولها: أن الله سبحانه قد علم ما كان وما يكون، وعلم أحوال عباده، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وغير ذلك من شؤونهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء سبحانه وتعالى. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقال عز وجل: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

الأمر الثاني: كتابته سبحانه لكل ما قدره وقضاه، كما قال تعالى:

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ [ق: ٤]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠].

والأمر الثالث: الإيمان بمشيئته النافذة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨]، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

والأمر الرابع: خلقه سبحانه لجميع الموجودات، لا خالق غيره، ولا رب سواه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢]، وغير ذلك من الأدلة. فالإيمان بالقدر يشمل الإيمان بهذه الأمور الأربعة عند أهل السنة والجماعة، خلافاً لمن أنكر بعض ذلك من أهل البدع.

ولابد في الإيمان من الاعتقاد بأن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وأنه لا يجوز تكفير أحد من المسلمين بشيء من المعاصي التي دون الشرك والكفر ما لم يستحل هذه المعاصي؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

ومن الإيمان بالله الحب في الله والبغض فيه، والموالاة في الله والمعاداة

فيه ؛ فيحب المؤمن المؤمنين ويواليهم، ويبغض الكفار ويعاديهم، ويحب أصحاب رسول الله ﷺ ويواليهم، ويعتقد أنهم خير الناس بعد الأنبياء ؛ لقوله ﷺ في الثابت عنه : «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ».

ومن الحب في الله محبة أهل بيت رسول الله ﷺ المؤمنين به، ومحبة زوجاته ﷺ والترضي عنهن، واعتقاد أنهن أمهات المؤمنين، والتبرؤ من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ ويسبونهم، ويغلون في أهل البيت ويرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها، وكذلك البراءة من طريقة النواصب الذين ينصبون العداء لأهل البيت بقول أو عمل.

فكل هذا داخل في العقيدة الصحيحة التي بعث الله بها رسوله محمداً ﷺ، وهي عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة التي قال فيها رسول الله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله سبحانه». وقال ﷺ : «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا واحدة» فقال الصحابة : من هي يا رسول الله؟ قال : «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي». وهي

العقيدة التي يجب التمسك بها والاستقامة عليها والحذر مما خالفها.

فالعقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام، وأساس الملة. ومن المعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة. فإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومن المعلوم أنه لا يتم أمر العباد فيما بينهم، ولا تنتظم مصالحهم، ولا تجتمع كلمتهم، ولا يهابهم عدوهم إلا بالثبات على هذه العقيدة، والتآخي عليها، والتعاون على البر والتقوى، والتكافل والتناصر والتعاطف، والتناصح والتواصي بالحق والصبر عليه.

ولا شك في أن من أعظم الواجبات الإسلامية والفرائض اللازمة، ومن أهم المهمات والواجبات التي لا بد منها لصلاح الجميع، وإقامة دينهم، وحل مشاكلهم توحيد الصف وجمع الكلمة ضد العدو المشترك على جانب قوي من العقيدة، فهي العامل الأول والركيزة الأساسية التي ينبني عليها كيان المجتمع الإسلامي، وتجتمع تحت لوائها كلمة المسلمين، منها يستلهمون

طريق وحدتهم، وعلى ضوئها يشقون طريقهم إلى أعلى قمم المجد والعلا، وبهداها ومبادئها القيمة يفتحون القلوب قبل أن يفتحوا الأمصار والأقطار.

ونرى ونسمع الآن أن المؤلفات والخطب والمحاضرات والمواعظ والندوات التي تنادي بوحدة المسلمين، وجمع كلمتهم، وتوحيد صفوفهم بالأساليب المتعددة، وطرح الحلول الكثيرة. لكن هذه الأساليب والحلول غير مفيدة، بل غير تامة؛ لأن أغلبها لم يهتم بنواحي العقيدة الصحيحة، بل اهتم بجوانب أخرى فرعية لا تتم إلا بالثبات على العقيدة. وقل أن تجد من بين هؤلاء من يهتم بالجانب الأساسي، والركن العظيم، والذي هو الحصن الحصين، والمنطلق المتين لجمع كلمة المسلمين، ألا وهو عقيدة التوحيد الذي جمعهم الله به بعد الفرقة، وألف به بين قلوبهم بعد التمزق حتى أصبحوا أمة واحدة ذات هدف واحد، ومنطلق واحد، وعقيدة واحدة هي مصدر العزة والسؤدد وعنوان السعادة، ومناط الوجود في هذه الحياة الدنيا، إنها عبادة الله الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، كما سبق أن بينا ذلك بأدلة من الكتاب والسنة.

وبالتأمل الجاد بروية وتمعن نجد أن أساس كل عمل في الإسلام إنما ينطلق من العقيدة، ويرتكز عليها كما يرتكز البناء على أركانه.

والبيت لا يبتنى إلا له عمد ❖ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

إذا عرفنا ذلك جيداً فإن أية دعوة إلى التضامن والوحدة إذا لم ينطلق أصحابها من هذا المبدأ الأساسي، ولم تؤسس على هذا البناء الراسخ، ولم تقم على تحقيق التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي والدعوات الهدامة فإنها دعوة – لا شك – فاشلة، لأنها لم تبن على أساس ثابت قوي وعقيدة راسخة.

فعلى ضوء العقيدة الصحيحة – بعد الله تعالى – نبني الآداب والأخلاق، وعلى مبادئها يوجد بإذن الله تعالى المجتمع الإسلامي الصالح المنشود، وتحصل السعادة في الدنيا والآخرة، ويعود الناس إلى الدين الإسلامي فينعمون بالخير والأمن والطمأنينة، ويتخلصون من أدران الوثنية وأوضار الجهل، وحينئذ تصفو القلوب، وتخلص لله، وتخلع ربقة الكفر الذي هو أعظم ذنب عصي الله به.

ولقد كان الإنسان في أول خلقه على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وعلى المنهج الرباني الصحيح، عقيدة وسلوكاً، وأخلاقاً، وعبادة، ومعاملة حقبة من الزمن، إلى أن بدأ الانحراف في العقيدة في أولئك القوم الذين بعث الله فيهم نوحاً عليه الصلاة والسلام، بعد أن زين لهم الشيطان عبادة الأصنام والأوثان بسبب الغلو في الصالحين. فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَا**

تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم. ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت.

ومن هنا بدأ الانحراف عن الصِّراط السوي نتيجة للغلو بطريق التدريج ومجاوزة الحد، واتباع الهوى الذي أودى بهم إلى عبادة غير الله تعالى. فأخطر أسباب الانحراف هو الغلو الذي حذر الله منه في غير آية من كتابه وهو مجاوزة الحد. وتعدي ما أمر الله به بالزيادة فيه وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ [طه: ٨١]، وكذا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء: ١٧١]، أي: لا تتعدوا ما حد الله لكم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: رحمه الله: (ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين بإفراط أو تفريط، وضاهاهم في ذلك فقد شابههم كالخوارج المارقين من الإسلام الذين خرجوا في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقاتلهم حين خرجوا على المسلمين — وكان قتالهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك من عشرة أوجه في الصحاح والمسانيد وغير ذلك. وكذلك من غلا في دينه من الرافضة والقدرية والجهمية، والمعتزلة).

وقال أيضاً: (فإذا كان على عهد النبي ﷺ من انتسب إلى الإسلام وقد مرق منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام، وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].اهـ[١].

فالإنسان عبد الله خلقه لعبادته وسخر له ما في السماوات وما في الأرض من أجل تحقيق هذا الفرض.

ومن هنا يعلم كل ذي فطرة سليمة وعقل سليم أن عبادة الإنسان غير الله، أو صرف شيء منها لغيره كالشمس والقمر والنجوم والأنهار والأشجار والقبور أو أصحابها، فضلاً عن الملائكة والأنبياء والصالحين، كل ذلك قلب للحقيقة والوضع الطبيعي؛ لأن الإنسان بحكم فطرته إنما هو مربوب لله تعالى لا لغيره، ومخلوق لعبادته وحده لا لعبادة بشر ولا حجر ولا غيرها، وكل عبادة لغير الله تعالى إنما هي من تزيين الشيطان عدو الإنسان.

ومعلوم أن هذه العبادة لله وحده هي العهد القديم الذي أخذه الله على بني آدم، وفطرهم عليها، وغرسها في طبائعهم الأصيلة منذ أن خلقهم في أحسن صورة، وجعلهم في أحسن تقويم، وأوجد فيهم العقل الواعي الذي

---

(١) نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١١) ص (١٧٥).

يتميزون به على سائر الكائنات، وجعل كل ما حولهم من الآيات البينات دليلاً قاطعاً على وحدانيته سبحانه، وإفراده بكامل العبودية. وأخذ العهد عليهم حيث قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦١]. فكل عبادة لغير الله إنما هي من إيحاء الشيطان وتزيينه ووسوسته.

وهذا العهد الذي بين الله وبين عباده قد أخذه الله على نبي آدم منذ أن كانوا في صلب أبيهم آدم عليه السلام، وقد بينه القرآن أحسن بيان، وصوره في أروع صورة وبلاغة حين قال: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣].

فمهمة الإنسان الأولى في الوجود، ودعوة الرسل كلهم هي عبادة الله وحده، والاتحاد عليها كما بين ذلك سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى: ١٣].

فقد دلت هذه الآية الكريمة وما في معناها على وحدة الهدف والعقيدة

التي هي محور دعوة جميع الرسل من لدن نوح عليه الصلاة والسلام إلى خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولينقذهم من أوحال الشرك وأدران الوثيقة. فكان عليه الصلاة والسلام بذلك نبراساً للأمة ينير لها الطريق، ومشعلاً ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦].

ولقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يترسمون تلك الخطى النبوية ويستلهمون سر وحدتهم من صفاء العقيدة الخالصة التي لم تشبها شائبة، فأصبحوا بذلك سادة الدنيا، وفتح الله لهم أبواب الخير من كل مكان، ورفعوا راية التوحيد في مشارق الأرض ومغاربها.

وكل عاقل يدرك أن هذا النصر المؤزر الذي حققه الله على أيديهم لم يكن بسبب كثرة العدد والعدة، وإنما تحقق ذلك بسبب توكلهم واعتمادهم على الله سبحانه وتعالى، وتمسكهم بالعقيدة الصحيحة، واتحادهم واجتماع كلمتهم على الحق، وأخذهم بالأسباب المشروعة[1]. وبنظرة فاحصة إلى أركان الإسلام وتعاليمه وواجباته التي لا يقوم إلا عليها نجد أنها تمثل الوحدة

(١) من مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١١) ص (١٧٩) وما قبلها.

الحقيقية، وتشعر المسلم برابطة قوية تشده بإخوانه المسلمين، وتقوي علاقته بخالقه الذي أوجده جل وعلا.

